

## الصورة الثقافية للمرأة في المخيال الشعبي الجزائري

(مقاربة في الأمثال الشعبية)

### The cultural image of women in the Algerian popular imagination (Approach to popular proverbs)

د/ ريمة لعواس<sup>1</sup>

<sup>1</sup> جامعة الجليلي بونعامة (الجزائر).

تاريخ الاستلام: 2019/06/15 تاريخ القبول: 2019/06/26 تاريخ النشر: 2019/07/01

#### ملخص:

تشكل الأمثال الشعبية صورا عديدة لجوانب من الحياة الإنسانية، إذ تلعب دورا أساسيا في تكوين البنية الثقافية الشعبية التي يقوم عليها مجتمع ما، من حيث أن الأمثال هي تعبير موجز بليغ عن تجربة مرّ بها الإنسان عبر حياته، كما تعتبر الأمثال بصيغتها الأدبية والفنية شكلا أساسيا من أشكال التعبير الأدبي الذي يمارسه الإنسان في حياته اليومية الجارية ليعبر به عن رؤيته للوجود وللعالم من حوله، كما تحدد معالم الحياة الاجتماعية لمختلف شرائح المجتمع، وترصد أنماط سلوكياتهم وتقييمها في الآن ذاته، وعلى ضوء هذا يمكننا القول أن الأمثال الشعبية تعتبر من المرجعيات الأساسية لدراسة التمثلات الثقافية لأي مجتمع كان، كونها تعكس الوعي الفردي والجمعي لمختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية...إلخ، وفق أسلوب ينم عن التجارب العميقة لهذه الفئات التي أصدرت هذا الكم الهائل من الأمثال، أو تلك التي تعمل على تداولها، من هذا المنطلق تسعى هذه الورقة إلى البحث في جزئية مهمة وهي صورة المرأة في الأمثال الشعبية، ومن ثم معرفة تمثلاتها الثقافية في المخيال الشعبي الجزائري.

كلمات مفتاحية: المرأة، الأمثال الشعبية، المجتمع، الثقافة، السلوك...إلخ.

**Abstract:**

Folk proverbs constitute many images of aspects of human life, as they play a key role in the formation of the popular cultural structure on which a society is based, in that proverbs are a brief, eloquent expression of an experience that a person has gone through throughout his life, and proverbs in their literary and artistic form are an essential form of Forms of literary expression that man practices in his daily current life to express his vision of existence and the world around him, as well as define the features of social life for the various segments of society, and monitor and evaluate their behavior patterns at the same time, and in light of this we can say that popular proverbs are one of the basic references for studying representations The cultural heritage of any society, as it reflects the individual and collective awareness of various social, economic, political, religious issues...etc, according to a method that reflects the deep experiences of these groups that issued this huge amount of proverbs, or those that are working to circulate them, from this point of view this paper seeks To search in an important part, which is the image of women in popular proverbs, and then to know their cultural representations in the Algerian popular imagination.

**Key words:** women, proverbs, society, culture, behavior, etc.

1. مقدمة:

"الي يحوس على المال يلقاه في زنده الفُعال، والي يحوس على الزاي والأقوال يلقاه في الأمثال"

هكذا هي الأمثال الشعبية الجزائرية عبارات شديدة التلخيص شديدة التهذيب، لها سحرها الخاص في جذب مستمعها، وهي أيضا مرآة تعكس تفكير الشعوب، وتسهم بشكل أو بآخر في تشكيل ثقافة المجتمع وفلسفته وسلوكه، وتدفع الفرد في الغالب إلى الإيجابية والتفاعل مع الآخر، وعليه يمكن اعتبار البحث في الأمثال الشعبية بحثاً في السلوك العام لأفراد المجتمع ونشاطاتهم وأساليب تفكيرهم(محمود خليل أبو دف، 1991، ص02)، لأنها نتاج تجارب واقعية لمختلف شرائح المجتمع، ولعل ما يكسب المثل الشعبي مصداقيته في تمثيل الواقع المعيش كونه بعيد عن سيطرة الحكام

## الصورة الثقافية للمرأة في المخيال الشعبي الجزائري (مقاربة في الأمثال الشعبية)

وسطوتهم، فلا يستطيعون أن يوقفوا قوله أو يمنعوا انتشاره (إبراهيم أحمد شعلان، 1972، ص 05). لأنه يعكس من خلال التصور الثقافي العام لأفراد المجتمع.

وللإفادة فإن المثل لم يترك في حياة الناس شيئاً إلا وله فيه قول، فلا عجب أن نملك هذا الكم الهائل من الأمثال الشعبية من التراث الشعبي، والتي تغطي معظم الجوانب الحياتية للفرد الجزائري، فهي إرث ثقافي لا يعرف نهاية، ولعل الغاية الأولى من العودة إلى هذه الأمثال الشعبية لدى عامة الناس هي استنهاض الماضي من أجل الحاضر والمستقبل، والاستفادة من تجارب من سبقونا.

إن اختيار خطاب الأمثال الشعبية كمجال للبحث عن التمثلات الثقافية للمجتمع الجزائري وكذا دورها في توجيه السلوك التربوي والأخلاقي، تتمثل مبرراته في ما يتميز به هذا النوع من الخطاب الأدبي من خصائص، لعل أهمها: انتشاره السريع بين مختلف الفئات الاجتماعية، نظراً لسهولة تمثله واستيعابه ولبنائه التركيبي وقدرته التعبيرية التي تجعله يعكس مختلف أنماط السلوك البشري، ثم لاستمرارية حضوره وانتقاله من جيل لآخر، إضافة إلى طبيعته المتميزة بالكثيف وبقدرته المجازية الكبيرة (علي أرفرار، 1996، ص 57-58).

وقبل الكشف عن هذه التمثلات الثقافية في الأمثال الشعبية الجزائرية ينبغي أن تكون لنا وقفة مع مفهوم الأمثال عند النقاد قديماً وحديثاً، وكذا معرفة أهم خصائصها، ذلك لأن الحديث عن الأمثال ليس بالأمر الجديد في الدراسات الأدبية والنقدية، بل هو قديم قدم هذا الخطاب الإنساني الحكيم، وذلك لأن الإنسان بعفويته كائن اجتماعي له من المواقف الحياتية ما يحتاج أن يعبر عنه بوسيلة أسهل، كما أنها السبيل إلى فهم العديد من مجريات الحياة اليومية.

عرّف عبد ربه الأمثال الشعبية في كتابه (العقد الفريد) بقوله: " الأمثال هي وشئ الكلام، وجوهر اللفظ، وحملة المعاني التي تخيرتها العرب، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة" (ابن عبد ربه، 1952، ص 63)، فتعريفه يركز بشكل مباشر على الجانب الأدبي والجمالي.

## د/ ريمة لعواس

في حين يعرفه السيوطي بأنه: "جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسله بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحق في لفظها وعما يوجه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت منها" (أحمد رشدي صالح، 1956، ص06)، فأهم ما تمتاز به الأمثال هو البساطة والاختصار الأمر الذي يجعلها سهلة للحفظ والتداول بين الناس (علي أفرار، 1996، ص58/57)، وهنا نشير إلى مسألة مهمة مفادها أنه لا يهم قائل المثل بقدر ما يهم مدى فهمه ومدى قدرته على استيعابه وحسن تمثله حسب المقام المناسب له.

أما آرشر تايلور ARCHER TYLOR فيعرف المثل بأنه " أسلوب تعليمي ذائع بالطرائق التقليدية، يوحى في غالب الأحيان بعمل أو يصدر حكما على وضع من الأوضاع" (أحمد رشدي صالح، 1956، ص06) باعتبار أن الأمثال هي عصارة أفكار جيل حكيم خَبَرَ الحياة وتعلم منها ما يمكن أن يفيد به غيره، وهذا التعريف بدوره قد نجده يتفق مع ما ذهب إليه ابن المقفع حين رأى أنه "حين جعل الكلام مثلا، كان أوضح للمنطق، وأبقى للسمع، وأوسع لشعوب الحديث" (فؤاد علي رضا، 1977، ص13) كما تعتبر الأمثال الشعبية من أنماط الفكر الشعبي والاجتماعي التي تقوم حول تيمة معينة تتميز عموما بالإيجاز والتركيز، لذلك يعرفها محمد رضا بقوله: "الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم، وهي أقوال تدل على إصابة المحز، وتطبيق المفصل هذا من ناحية المعنى، أما من ناحية المبنى فإن المثل الشرود يتميز عن غيره من الكلام بالإيجاز ولطف الكناية، وجمال البلاغة والأمثال ضرب من التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة البعد كله عن الوهم والخيال، وهنا تتميز الأمثال عن الأقاويل الشعرية" (نبيلة إبراهيم، 1981، ص174)، فالمثل هو منظومة من القيم التي تقدم صورة واضحة عن تجارب الإنسان، وهذه قمة العطاء الثقافي.

أما التعريف الذي تراه نبيلة إبراهيم شاملا لخصائص المثل الشعبي فهو تعريف فريدريك زايلر الذي ورد في مقدمة كتابه المعنون بـ(علم الأمثال الألمانية)، حيث عرفه

## الصورة الثقافية للمرأة في المخيال الشعبي الجزائري (مقاربة في الأمثال الشعبية)

بقوله: "إنه القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة" (نبيلة إبراهيم، 1981، ص 175).

نستخلص من هذه التعاريف جملة من الخصائص التي يتميز بها المثل نلخصها فيما يلي (ينظر، نبيلة إبراهيم، 1981، ص 174-176):

- الطابع الشعبي: يمثل في أسلوبه الذي يتضمن فلسفة شعبية بسيطة نابعة من الحياة اليومية الجارية، ولذا فهي تدرك بسهولة لأنها في دائرة التجربة الشعبية المصوغة بأسلوب شعبي بسيط، فهي لا تخرج عن كونها شكل تعبير يعكس الثقافة الشعبية للفرد، كما تعد خلاصة تجاربه، مما يجعل هذه الأمثال الشعبية أداة أساسية لفهم النظم الثقافية لمجتمع معين.

- الطابع التعليمي: ذلك لأن المثل يطلعنا على حقيقة تجربة إنسانية لخص نتائجها في جملة من القول مقتضبة من أصلها، فتلقى قبولا وذيوعا يمنحها أثرا في صقل تجاربنا وتهذيب خبراتنا، وتوسيع أفق معرفتنا، وذلك لأننا نعيش - من خلال المثل- التجربة التي عبر عنها أو عن جوهرها بأي شكل كان كالقول القصير، ونحن في أثناء ذلك نشعر بهدف المثل الذي يعكس تجربة فردية.

- المثل الشعبي ذو شكل أدبي مكتمل: أي أنه يمثل "بني مستقلة بنفسها مكتفية بذاتها" (عبد الملك مرتاض، دت، ص 98).

- المثل الشعبي متنوع التراكيب فهي قد تكون قصيرة، وقد تكون طويلة، وقد تكون مرسلة وقد تكون موقعة (مسجوعة)، كما يمكن أن نكون متسلسلة أو متباعدة، وقد يحدث أن تكون مصحوبة بجمل معترضة أو مكررة، أو يكون تكوينها منطقيا يربط النتيجة بالمقدمة .

- المثل الشعبي غير معرب: يأتي في شكل لغوي لا يحترم الإعراب، وإنما يخضع للذوق الفطري الذي فرضه الوسط الاجتماعي.

- ميزة الأمثال الشعبية أنها تنبع من كل طبقات الشعب .

- المثل الشعبي يعيش بين جميع طبقات الشعب -بخلاف زایلر الذي يحصره في الطبقتين الدنيا والمتوسطة- .

## د/ ريمة لعواس

- المثل الشعبي يسمو على الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب.
- المثل الشعبي وجز اللفظ بحيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير من الدلالة، كما تغلب عليه روح الفكاهة والخفة، وهذا من الأسباب التي تساعد على انتشاره وسرعة تداوله، فالإنسان بطبعه يميل إلى ما هو مختصر ومفيد، ثم لسهولة حفظه وفهمه ولقصر أفاضله وكبر حملته، وهذا الانتشار في الأوساط الشعبية كان بعيدا عن سلطة الرقيب، مع العلم أن "الانتشار يدل على أن المثل قد مسّ حسنّ المستمعين له، وبالتالي يصير ملكا لهم جميعا" (رابح العوي، دت، ص 44).
- المثل الشعبي مصيب المعنى، فشرط الكلام القليل الدلالة المباشرة على المعنى المراد دون زيادة أو نقصان.

### الصورة الثقافية للمرأة في الأمثال الشعبية:

يستهدف هذا المقال إذن، البحث في التمثلات الثقافية التي ترسمها الأمثال الشعبية الجزائرية، ووظيفتها في التنشئة الاجتماعية، فالأمثال الشعبية كما هو معلوم، لا تكشف الخبايا النفسية لكل شعب فحسب، بل هي بمثابة قوانين اجتماعية شبه ملزمة تسن المعايير التي يخضع لها الجميع (فاطمة يوسف العلي، 2000، ص 24-32)، فالهدف الأساسي منها كما سبقت الإشارة هو استكشاف مضامينها لاستثمارها في حياتنا الحاضرة والمستقبلية.

إن خطاب الأمثال الشعبية يعبر عن الواقع ويخترن صورا مختلفة عن الواقع البشري، وعن ثقافته التي نقصد بها البناء الذهني الذي يتم على مستوى الذاتية و"يرتبط بالواقع الإنساني من منطلق أن الإنسان بقدر ما يعي العالم المحيط به وعيا مباشرا، من خلال حضور الأشياء بذاتها في العقل، فإنه يعيه بطريقة غير مباشرة، حيث تتواجد الأشياء في الشعور عبر صور" (جلبير دوران، 1999، ص 09).

ولأن الأمثال بحث شائع ليس له قرار أردت أن أحصر مجال البحث في الكشف عن التمثلات الثقافية في الأمثال الشعبية التي تتحدث عن المرأة وذلك لأن حضور المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية يشغل الحيز الأكبر، وهو حضور متباين حسب تباين السياقات التي يتم فيها ذكر المرأة، وعلى حسب الأدوار والوضعيات الاجتماعية التي

## الصورة الثقافية للمرأة في المخيال الشعبي الجزائري (مقاربة في الأمثال الشعبية)

تكون عليها هذه المرأة، فهي إما تكون أما، أو زوجة، أو طفلة، أو شابة، أو عجوز... إلخ، وبناء عليه يستهدف مقالنا هذا البحث في صورة المرأة التي ترسمها الأمثال الشعبية، وكذا الكشف عن دلالاتها وتمثلاتها الثقافية وكذا أثرها في توجيه السلوك الاجتماعي والأخلاقي باعتبار أن الأمثال تشكل إطارا للفعل الاجتماعي، حيث تحدد قواعد السلوك وتوجهه من خلال النصائح المستخلصة من تجارب الإنسان.

إذا تأملنا صورة المرأة في الحياة اليومية من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية نجد أن المرأة لها صورا عديدة متقابلة ومتباينة كما سبقت الإشارة، حيث تعكس كل صورة لها ملامحها المختلفة عن الصور الأخرى، فتسجل بذلك تنوعا وتداخلا يشكل لنا في النهاية نموذجا للمرأة الجزائرية النموذج، والأمثال حين تحاول تقييم صورة هذه المرأة النموذج لا تكتفي بالتعبير عنها من منطلق يحدد جمالياتها ويمتدح صفاتها، بل تسعى إلى سبر أغوار هذه المرأة التي تعتبر محورا أساسيا من محاور الحياة الإنسانية سواء كانت هذه الأمثال من صنع الرجال أم من صنع النساء، مما يتيح لنا معرفة الذهنية الجزائرية وتمثلاتها الثقافية.

### أولاً: الصورة التربوية

تكتسب الأمثال الشعبية أهمية تربوية كبيرة، فهي تعد وسيلة ناجعة لتسوية سلوك الفرد لما فيها من تذكير بالأخلاق الحميدة، وكذا حرصها على غرس الخلق الكريم كالعفة والصدق والشجاعة، وهو سلاح في مواجهة الشذوذ والانحرافات والردائل (محمود خليل أبو دف، 1999، ص10)، ذلك لأن المثل عموما يأتي في أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، إذ يوصف في غالب الأحيان بعمل يصدر حكماً على وضع من الأوضاع، وكذلك أسلوباً تربوياً تعليمياً يرسم طريق العمل، كما يقوم بدور الناقد لوضع من الأوضاع (إبراهيم أحمد شعلان، 1972، ص20).

وتعرف المرأة الأم حضوراً قوياً في المثل الشعبي الجزائري لما لها من دور في تربية الأبناء والعناية بهم بالرغم من كل الإكراهات التي قد تعترضها، حيث يقول المثل: "يلاً مات الأب توسد الركبة ويلا ماتت الأم توسد العتبة" وفي هذا المثل إشارة واضحة إلى التضحيات الجسيمة التي تقوم بها الأم عند فقدان الأب، حيث تضحي المرأة بسعادتها

## د/ ريمة لعواس

وبراحتها لأنها تعي تماما أنها المصدر الأول للتربية الصحيحة، والصالحة للأبناء، حيث يقول المثل الشعبي "العنقود الكبير من ذيك الدالية المخدومة"، أي أن كل ابن تربى تربية حسنة إلا وكان نتيجة للتوجيه الصائب للأم.

وفي السياق ذاته يقول المثل "يلا خَفَات عليك البنت فدارشوف خوها فزنقة، حيث جرت العادة قديما أن تلزم المرأة البيت ولا تخرج منه إلا لسبب قاهر، وجرت العادة كذلك أن يسأل عن سيرة الفتاة وأخلاقها قبل الزواج بها، لكن إن تعذر ذلك لكونها لا تخرج من البيت، فما على الأسرة سوى النظر في أخلاق أخوها في الخارج ليطلعهم على حال التربية أي حميدة أم العكس.

ولقد جاءت صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية في شخصية المربي، خاصة عندما يتعلق الأمر بالأم باعتبارها منشئة الأجيال على حد قول حافظ إبراهيم:

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّتْهَا      أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

لذا كان ينبغي للأم أن تكون ذات أخلاق حميدة حتى يكون أولادها على شاكلته، ولهذا يقول المثل "البنات على لمآت والخيل على الصفات"، أي أن الفتاة تخطب بالنظر لأخلاق أمها (رابح خدوسي، 2002، ص35)، كما يشير المثل أيضا إلى أن البنت في العادة هي صورة مصغرة عن أمها، حيث هناك مثل يقول: "اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها".

ومما لاشك فيه أن المجتمع يعترف ضمنيا بالدور الأساسي الذي تقوم به المرأة داخل الأسرة، وهو دور التدبير، والصبر، ومشاركة الرجل في الشدائد، حيث تبدأ الدعوة في البداية للزواج بذات الحكمة، والصبر، وصاحبة الرأي السديد حتى تكون سندا للرجل في الحياة، حيث جاء في أحد الأمثال الشعبية: "خذ بنت الناس إذا ما صبت الهناء تصيب الخلاص"، أي تزوج بنات العائلات الأصيلة حتى إذا لم تستقر الحياة الزوجية بينكما سيكون الفراق سهلا (رابح خدوسي، 2002، ص63).

وفي مثل قريب لما سبق عرضه يقال: "بنت الأصل تحشم بالشكر"، أي أن المرأة الأصيلة التي تربت في بيت أهلها على الطاعة والحياء يجرها الشكر والمدح، ويضرب هذا المثل في تزكية المرأة التي تمتاز بالحياء، لأنه من الإيمان كما جاء في الأثر، والحياء

## الصورة الثقافية للمرأة في المخيال الشعبي الجزائري (مقاربة في الأمثال الشعبية)

من جمال المرأة (رابح خدوسي، 2002، ص38)، وفي ذات الموضوع يقال أيضا: "خذ المرا الأصبيلة وارقد على الحصيرة"، كما يقال: "إلا تتزوج تزوج بنت الأصول ما يجبر العدو ما يقول".

### ثانيا: الصورة الاجتماعية

يعتبر الزواج في المنظور الشعبي من أهم العلاقات الاجتماعية، كما يعد علامة فارقة في حياة المرأة، لذا نجد أن هاجس التنشئة والتربية في الأوساط التقليدية هو إعداد البنت للاضطلاع بمسؤولية الزوجة وربة البيت، وهذا الدور يعتبر امتيازاً للمرأة لأن مصيرها يتحدد بالقياس إلى محطة الزواج (لخضر حليتي، 2010، ص127)، وقد تعددت صور المرأة المتزوجة داخل الأمثال الشعبية الجزائرية بتنوع وضعياتها داخل مؤسسة الزواج بين المرأة العروس، المرأة الأم، أخت الزوج...إلخ.

وبما أن رباط الزواج رباط مقدس، به يجتمع الذكر والأنثى، ويكونان أسرة ينتج عنها أولاد، وبه تتقارب الأسر المتباعدة، وتمتد العلاقات وتتوسع بفضل هذه المصاهرة، وما ينتج عنها، فإن محطة اختيار الزوج أو الزوجة تعتبر محطة مهمة تتطلب الكثير من التفكير والتدبير والمشورة لتحري الاختيار الصائب الذي به يثبت الزواج ويدوم، لأن كل خطأ أو سوء تقدير قد ينجر عنه مشاكل للزوجين وللأسرتين، بل للناشئة فيما بعد، وعليه نهت الأمثال الشعبية المقبلين على هذا الرباط بالتريث، وحسن الاختيار (لخضر حليتي، 2010، ص129)، حيث يقول المثل: "زواج ليلة يستاهل تفكير عام"، وبصيغة أخرى: "زواج ليلة لازموا تدبير عام"، ومن الصفات المرغوبة في الفتاة حسب ما جاء في الأمثال الشعبية الجزائرية قولهم:

ما يعجبك نوار دفلة في الواد داير ظلايل

ما يعجبك زين طفلة حتى تشوف الفعايل

يحتوي هذا المثل على تشبيه تمثيلي، فنوار الدفلة يمتاز بانعدام رائحته، وبمرارة مائه عند لمسه بخلاف منظره الجميل، فكذلك لا يغتر المرء بجمال المرأة الظاهري، إذا لم يطابق المظهر المخبر في الأخلاق الحميدة، وفي الأعمال الصالحة، والقدرة على تولى مسؤولية البيت.

## د/ ريمّة لعواس

وفي سياق الحديث عن العلاقات الأسرية داخل مؤسسة الزواج تتجلى لنا علاقة العروس بالحماة (أم الزوج)، وقد شاع في العرف الاجتماعي أن العلاقة بينهما في الغالب تتسم بالتوتر نظرا للمشاحنات القائمة بينهما، حيث يقول في المثل الشعبي: "إذا تفاهمت العجوز والكنة ابليس يدخل للجنة"، وهذا المثل يبين الصراع القائم بين الحماة وزوجة الابن، وذلك لسبب نفسي، حيث ترى كل واحدة أحقيتها في امتلاك الرجل الأولى بحق الأمومة والثانية بحق الزواج (رابح خدوسي، 2002، ص31).

ومما جاء في هذا الموضوع أيضا المثل الشعبي الذي تقول فيه الحماة لزوجة ابنها: "تكبري يا الكنة وتعودي حماة، وتحسي كما حسيت أنا"، أي ستصبحين أمًا وتشعرين بفقدان ابنك عند زواجه كما أحس أنا الآن، ويضرب هذا المثل للدلالة على أن كل واحد يؤدي دوره في هذه الحياة ويجرب كما جرب من سبقوه (رابح خدوسي، 2002، ص40).

أما عن علاقة الأخت بأخيها فغالبا ما تكون علاقة طيبة وللتعبير عن هذه العلاقة يضرب المثل الشعبي التالي "الي ما عندو الخيات ما عرفوه وين مات"، إلا أن هذه العلاقة الطيبة غالبا ما تتدهور بعد زواج الأخ في حالة نشوب المشاكل والخلافات مع زوجته، لهذا يقول المثل من أجل الحفاظ على المودة التي تجمع الأخت بأخيها: "الي بغات خوها تصاحب مرته"، أي من تودّ شقيقها تجعل من زوجته صديقة، ويقصد به أن من رغب في شيء يتقرب من حواشيه، ويضرب هذا المثل في المداهنة والمناورة (رابح خدوسي، 2002، ص142).

### ثانيا: الصورة الثقافية

يقدم المثل الشعبي الجزائري معطيات ثقافية متنوعة وعديدة، فهو في إطار إثراء المعلومات يعتبر مصدراً من مصادر المعرفة لدى الشعب، وكل مثل من الأمثال الشعبية الجزائرية يقدم معلومة لها أهميتها في حصيلة حضارة الشعب وحياته الثقافية (هاني العمدة، 1996، ص38)، ومن المسائل المطروحة في الأمثال والمتعلقة بالمرأة أن البنت العزباء في دار أبيها هي السند الثاني بعد الأم لهذا يقال: "البنات عمارة الدار"، دلالة على أن الفتاة عادة ما تحمل أعباء البيت ومسؤولية الأشغال المنزلية، وفي بعض الأحيان

## الصورة الثقافية للمرأة في المخيال الشعبي الجزائري (مقاربة في الأمثال الشعبية)

تساعد الأم في تربية الإخوة فتوكل لها المسؤولية بالرغم من صغر سنها، عكس الولد الذي ينشغل باللعب مع رفاقه خارج البيت.

وفي سياق الحديث عن تعب الأم ومشاقها في البيت يقول المثل الشعبي الجزائري "أم الولاد مشغولة لوكان غولة"، أي مهما بلغت طاقة الأم فإنها لا تعرف الراحة لانشغالها بأمور أبنائها، ويضرب هذا المثل في تثمين عمل الأمهات وربات البيوت بأن لا وقت لهن ولوكن في قوة الأسود (رابح خدوسي، 2002، ص16).

وفي ذات العلاقة التي تجمع البنات بأمهات أشارت ثقافة المجتمع في الأمثال إلى أن: "البنات شريكة مها"، لتكون الأم مكملة أسرار الفتاة، كما تبوح الأم بأسرارها إلى الفتاة في حين يبقى الرجل عموما بعيدا عن هذه الشراكة، حيث يقال: "أسرار العروسة عند أمها مدموسة".

ونظرا لهذه العلاقة الوطيدة بين الأم وبناتها كثيرا ما يتداول بين الناس المثل القائل بأن "العروس تشكرها أمها وخالتها ولا القزابة جارتها"، أي أن أكثر الناس مدحا وثناء على البنات هي أمهاتهن، ويضرب هذا المثل للتعبير على أن مادح الشيء صاحبه ومدح الشخص قريبة أو صديقة مثل البضاعة في المتجر التي يمدحها صاحبها قصد رواجها (رابح خدوسي، 2002، ص07).

وتضمنت الأمثال ثقافةً انتشرت بين أفراد المجتمع، وهي أن النساء إذا اجتمعن في بيت واحد يتكاسلن عن القيام بأشغالهن، فكل واحدة منهن تتكل على الأخرى، حيث يقول المثل الشعبي: "دار ثلاثة طايحة، ودار زوج بايخة، ودار وحدة طل تشوف"، أي أن العبرة ليست بالكثرة، وإنما بالجدية والإرادة (رابح خدوسي، 2002، ص71).

### رابعا: الصورة الاقتصادية

لا يختلف اثنان أن حسن تدبير المرأة لبيتها وإدارتها الجيدة لإمكاناتها المتاحة لديها مهما كانت قليلة لها شأن عظيم في ارتقاء شأن الأسرة وسعادة الرجل واستقرار البيت لذا فإن المجتمع يعتبر المرأة المقتصدة والأفضل تدبيرا لممتلكاتها هي أنجح الزوجات مقارنة بالمرأة بالمرأة المبذرة لهذا يقول المثل "الخير امرأة والشر امرأة" أي أن

## د/ ريمّة لعواس

مفتاح السعادة في يد المرأة إذا أحسنت استعماله وأن المرأة مصدر والخير والبركة إذ صلحت وإن فسدت وانحرفت فإن مضار ذلك تصب على الأسرة بأكملها.

ولأن البيوت تبنى أساسا على المرأة فإن كل شؤون البيت موكلة إليها على خلاف الرجل الذي لا يفقه في هذه الشؤون شيئا بدليل أنه يحضر إلى البيت كل ما تطلبه منه المرأة لذا فالمدار على المرأة التي ينبغي لها ان تتصرف بحكمة في تسيير أمور بيتها حيث يقول المثل "الراجل بحر والمرأة قلته"، ويقصد بالقلته البحيرة الصغيرة ومعنى هذا المثل أن الرجل سخي والمرأة مقتصدة في بيتها.

ومن الأمثلة الأخرى التي تطرحها الثقافة الشعبية الجزائرية قولهم: "أنت عليك بترقاق الخبزة وأنا علي بالأكل مرتين"، وتعود قصة المثل إلى أن امرأة كانت تقتصد في بيتها فترقق الخبزة وتقدمها لزوجها حتى يحس بأنه أكل خبزة كاملة فانتبه لحيلتها وصار يأكل خبزتين ويضرب هذا المثل للدلالة على أن الحيلة تنطلي على صاحبها (رابح خدوسي، 2002، ص17).

وفي سياق الحديث عن حسن تدبير المرأة في بيتها وقيامها بكل المهام الموكلة إليها بنشاط وإتقان تطرح الأمثلة الشعبية الجزائرية العديد من الصور التي تمدح المرأة من بينها قولهم: "كل اصبع بصنعة" وعادة ما يقال هذا المثل عندما تمدح الخاطبة العروس لدى عريسها فتقول أنها كثيرة المنافع وكل أصبع فيها بصنعة أي حرفة (رابح خدوسي، 2002، ص105).

ومن الأمثلة التي تشير إلى صورة المرأة النشيطة نجد المثل الذي يقول: "الغزّالة تغزل على العود" أي أن الماهرة في الغزل تفعل ذلك على عود خشبي ولا تشتترط عود المغزل ومعناه أن القادر على فعل الشيء لا يختار لذلك مكانا أو زمانا أو وسيلة ويضرب في المهارة (رابح خدوسي، 2002، ص114) على عكس المرأة الفاشلة في قضاء حاجيات بيتها التي دائما ما تبرر فشلها بسحر حيث يقول المثل: "الي خانوها يديها تقول السحور بيا" أي العاجزة عن الفلاح في عملها تقول أنها مسحورة ويقصد بها تبرير الفشل بحجج وهمية ويضرب في باب المسؤولية (رابح خدوسي، 2002، ص151).

خاتمة:

يتضح مما سبق أن الأمثال الشعبية المذكورة أنفاً تحرص على تقديم رؤية واضحة لا لطبيعة المرأة فحسب، ولكن لطبيعة السلوك الإنساني ككل متخذة من المرأة أحياناً رمزا لهذا السلوك يرمز إلى شكل العلاقة الاجتماعية القائمة بين المرأة والمجتمع وبنية السلوك العام القائم داخل دائرة العلاقات الاجتماعية فالأمثال تمارس سحراً وتأثيراً خطيرين على الذهنيات، وعلى السلوكيات من منطلق أنها تمثل حكمة الأجداد، وخالصة تجاربهم الحيا

قائمة المصادر والمراجع:

- 1) أحمد شعلان إبراهيم، 1972، الشعب المصري في أمثاله العامة، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مصر.
- 2) ابن عبد ربه، 1952، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، ج3، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- 3) رشدي صالح أحمد، 1956، فنون الأدب الشعبي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 4) دوران جليبر، 1999، ورد عند عبد المجيد جحفة "سطوة النهار وسحر الليل": الفحولة وما يوازئها في التصور العربي، ط1، دار توبقال للنشر، البيضاء.
- 5) العوبي رابع، دت، أنواع النثر الشعبي، دط، منشورات جامعة برج باجي مختار، عنابة.
- 6) خدوسي رابع، 2002، موسوعة الأمثال الجزائرية، دط، دار الحضارة، بئر التوتة، الجزائر.
- 7) عرفات المبيض سليم، 1986، الجغرافيا الفلكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- 8) مرتاض عبد الملك، دت، عناصر التراث الشعبي في اللازم (دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية)، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 9) أفرار علي، 1996، صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلمي، دط، دار الطليعة، بيروت.
- 10) يوسف العلي فاطمة، 2000، المرأة في المأثورات الشعبية الكويتية، مجلة البيان، ع355، الرياض، السعودية.
- 11) حليتم لخضر، 2010، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د/ فتحي بوخالفة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة المسيلة.

الصورة الثقافية للمرأة في المخيال الشعبي الجزائري (مقاربة في الأمثال الشعبية)

- (12) محمود خليل أبو دف، 27-29 سبتمبر 1999، القيم المتضمنة في الأمثال الشعبية الفلسطينية (دراسة تحليلية من منظور إسلامي)، ورقة عمل مقدمة في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، كلية التربية والفنون بجامعة اليرموك، الأردن.
- (13) إبراهيم نبيلة، 1981، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
- (14) العمدة هاني، 1996، الأدب الشعبي في الأردن، دط، مؤسسة آل البيت، عمان..